تأثير الخطاب الشعبوي على واقع الأحزاب السياسية في الجزائر

The impact of populist discourse on the reality of political parties in Algeria

قندوز عبدالقادر[1*]، مبطوش الحاج[2]

[1] مخبر التشريعات في حماية النظام البيئي، جامعة ابن خلدون تيارت(الجزائر)

Abdelkader.guendouz@univ-tiaret.dz

[2] جامعة ابن خلدون تيارت(الجزائر)

Hadj.Mabtouche@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2023/03/14 تاريخ القبول: 2023/05/19 تاريخ النشر: 2023/06/01

****

ملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة الوقوف على إشكالية شيوع الخطاب الشعبوي في أساليب العمل السياسي للأحزاب السياسية في الجزائر إذ أصبحت من الظواهر السياسية التي يري فيها علماء السياسية من الممارسات التي شاعت في الوسط السياسي لدى الأحزاب السياسية و التي عرفت تجاذبات فكرية حول مدى خطورتها على الأنظمة الديمقراطية وحتى الديمقراطية في ذاتها كونها نابعة من صميمها، وعلى هذا الأساس سنحاول التطرق من خلال هذه الورقة إلى هذه الممارسة في الوسط الحزبي في الجزائر ومدى تهديد الظاهرة لعمل الحزبي في الجزائر

الكلمات المفتاحية:

النظم الحزبية، الشعبوية، الديمقراطية، الخطاب السياسي،

Abstract:

Through this paper, we are trying to identify the problem of the prevalence of populist discourse in the methods of political work of political parties in Algeria, as it has become one of the political phenomena in which political scientists see practices that have spread in the political center of political parties, which have known intellectual tensions about the extent of their danger to democratic systems. And even democracy in itself, as it springs from its core, and on this basis we will try to address, through this paper, this practice in the partisan milieu in Algeria and the extent of a threat to the phenomenon of the party process in Algeria.

Key words:

Party systems, populism, democracy, political discourse

---

[*] المؤلف المراسل

مقدمة:

تشكل فكرة الشعب المرتكز الأساسي للديمقراطية فالسلطة للشعب يمارسها باسمه ممثلين عنه يدافعون عن مصالحه، إن هذا المبدأ من المبادئ الراسخة للديمقراطية في العالم دأبت أغلب الأنظمة السياسية التي تبنت النهج الديمقراطي على إرسائه، إلا أن الممارسة السياسية تنحرف عن مسارها إذا أساء استخدام مفاهيمها، فالفهم الخاطئ لمبدأ سلطة الشعب نتجت عنه ممارسات وسياقات فكرية بنيت على أساسها إيديولوجية عرفت في القرن الثامن عشر بما يصطلح عليه بالشعبوية المصطلح القديم الجديد أن صح التعبير. فمن حركة سياسية في أواخر القرن الثامن عشر إلى أسلوب للعمل السياسي هاهو الخطاب الشعبوي يعاود البروز في كنف الديمقراطيات العريقة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وحتى الديمقراطيات المبتدئة مثل أمريكا اللاتينية ودول العالم الثالث، فأصبح الخطاب الشعبوي الأسلوب المحبذ لدى الأحزاب السياسية وقيادتها فشكلت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وأمريكا اللاتينية مهد الخطاب الشعبوي خلال القرن الحالي التي غزت العالم اليوم، و باعتبار الجزائر من الدول حديثة العهد في التجربة الديمقراطية التي شاعت فيها الممارسة الشعبوية فهي لم تكن حديثة العهد كان لها نصيب من الممارسة السياسية في التاريخ السياسي للعمل الحزبي وحتى يومنا هذا. فتحولات السياسية التي شهدتها الساحة السياسية برهنت في كل مرة على تجذر هذا النوع من الخطاب في الممارسة السياسية لدى مختلف الأحزاب السياسية الذي تولد عنه على حسب بعض المحللين تعثر التجربة الديمقراطية هي أيضا من أحد أهم أسباب ضعف العمل السياسي والفاعلية لدى الأحزاب السياسية في الجزائر.

أن غياب الإطار النظري والأساس الأيديولوجي للشعبوية صعب من مهمة فهم المصطلح وتحديد خطورته وسبل مواجهتها، فالنظرة التشاؤمية لدى غالبية الدارسين للظاهرة السياسية جعلت منها تهديدا حقيقيا للديمقراطية بصفة عامة والعمل الحزبي بصفة خاصة التي تلعب في ظل الديمقراطية الراسخة أداة اتصال بالغة الأهمية بين الشعب والنخبة الحاكمة فجوهر المنافسة الحقيقية يتمثل في أن تبني الأحزاب السياسية برامجها على مطالب الجماهير وتطلعاتهم تجعل منها محور التنافس الانتخابين.

الإشكالية:

ففي ظل الإشكالات المفاهمية وغموض الظاهرة السياسية وصعوبة تحديد محل الخطاب الشعبوي من الممارسة السياسية نطرح الإشكالية التالية: **إلى أي مدى أصبح الخطاب الشعبوي الممارسة السائدة لدى الأحزاب السياسية في الجزائر واعتمادها كممارسة مترسخة للعمل السياسي ؟**

في إطار الإجابة عن هذه الإشكالية نطرح عدد من الأسئلة الفرعية

- ✓ ماذا تعني الشعبوية ما هي السياقات التاريخية التي نشأت في ظلها؟
- ✓ ما مدى ترسخ الخطاب الشعبوي لدى الأحزاب السياسية في الجزائر؟

✓ ما طبيعة تأثير الظاهرة وظائف الأحزاب السياسية في الجزائر؟

وفي محاولتنا الإجابة على هذه الإشكالية نطرح الفرضيات التالية:

تمثل الفرضية الأساسية لدراستنا هذه التي تتمحور أساسا حول متغيرين هو مدى تأصل الخطاب الشعبوي لدى الأحزاب السياسية في الجزائر بما يساهم في إضعاف دورها في ممارسة وظائفها و درجة التهديد التي يشكلها هذا النوع من الخطاب على عملية التحول الديمقراطي في الجزائر

- هناك ارتباط وثيق بين ظهور الشعبوية و العوامل التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية
- كلما زادت وتيرة التحولات السياسية في الجزائر نحو التعددية السياسية زاد الاعتماد على الخطاب الشعبوي لدى الأحزاب السياسية
- هناك دلالة ارتباطيه بين استخدام الخطاب الشعبوي لدى الأحزاب السياسية وتقلص دورها والمساهمة في انحراف العمل السياسي عن مساره

الأهمية العلمية و العملية للموضوع:

تتناول هذه الورقة أحد أهم المواضيع التي لم تحض باهتمام الباحثين السياسيين، حيث يشكل موضوع الخطاب الشعبوي اليوم من المواضيع الهامة، فالخطاب الشعبوي أخذ منحى متصاعد في الآونة الأخيرة لدى خطابات الأحزاب السياسية الأمر الذي أصبح يشكل تهديدا حقيقيا للممارسة السياسية.

المنهجية المتبعة للموضوع

من خلال دراستنا للموضوع ارتئينا اتبعا منهجية علمية قائمة بالأساس على المنهج الوصفي التحليلي من خلال أبراز ظاهرة الخطاب الشعبوي الممارسة من طرف الأحزاب السياسة في الجزائر انطلاقا من الدراسة النظرية للمفهوم . تمثلت الدراسة التحليلية في البحث عن التأثير الناجم عن ظاهرة الخطاب الشعبوي في لعب الأحزاب السياسية للدور الأساسي لها من خلال الوقوف على بعض الموقف السياسية التي شهدتها السياسية ومحاولة إستنباط هذه الظاهرة.

المبحث الأول

دراسة الإطار النظري للشعبوية

الشعبوية أو الخطاب الشعبوي من الظواهر السياسية التي راجت في القرن الواحد والعشرون وغلبتها على الخطاب السياسي في العالم، فأصبحت محط اهتمام البحثين السياسيين فغموض المصطلح كان من بين المعضلات التي واجهت عملية البحث في حقل العلوم السياسية وعدم تحديد خصائصها بشكل واضح زاد من تفسير الظاهرة أكثر تعقيدا حتى وإن اتضح المعنى اللغوي لها فالعامل الجغرافي كان من بين العوامل التي ساهمت إلى حد كبير في تنوع المصطلح من أوروبا إلى أمريكا اللاتينية إلى الولاية المتحدة الأمريكية كلها عرفت

ظاهرة الشعبوية لكنها اختلفت في تعريفها لذلك سنحاول من خلال هذا المحور التطرق إلى الدراسة النظرية للمصطلح.

المطلب الأول: الجذور التاريخية للشعبوية

قبل الخوض في مفهوم الشعبوية كان لابد من الخوض في الجذور التاريخية للمصطلح ومدى تأصله في الحياة السياسية للشعوب، فالشعبوية ليست بالمصطلح الحديث الذي قد يعتقده البعض لكون أن الظاهرة برزت بشكل ملحوظ في القرن الواحد والعشرون الذي أطلق عليه بعض المفكرين السياسيين بعصر الشعبوية

يأتي أصل كلمة شعبوية **populism**، من كلمة شعب people وتعني الرجوع إلى الشعب والاعتماد الكامل عليه وعلى عفويته واندفاعه الثوري. في البداية الأمر هي حركة سياسية وفكرية متطرفة حمل لوائها بعض المفكرين الروس وكانت تاريخيا حركة سياسية معارضة للحكم القيصري بقيادة المثقفين الروس مابين عامي 1850و 1880 وعرفت الحركة باسم **"نارودنيشستفو" "Narodnichestvo"** وكان هدف الحركة المتشبعة بالثقافة الغربية والتي ينتمي مؤسسوها من الطبقة الوسطى تغيير النظام القيصري في روسيا بهدف تخليصها من التخلف الاقتصادي، فكانت بداية العمل بالنسبة للشعبويين القيام بحملات توعية بين الشعب انطلاقا من الأرياف بالتركيز على الفلاحين باعتبار أنهم يشكلون من حيث تكوينهم الاجتماعي والاقتصادي الطبقة الوحيدة القادرة على حل مشكلات الأمة الروسية.[1]

يطلق عالم السياسية **أيفان كراستيف Ivan crastiv**على العصر الحالي باسم "عصر الشعبوية" غير أنه ليس من السهل تحديد معنى الشعبوية وذلك لغياب الأطر النظرية الخاصة بها وأيضا غياب المعايير التي يتقرر على أساسها متى يصبح الحزب السياسي شعبويا، وبالتزامن مع انتشار الديمقراطية فإن كل الفاعلين السياسيين يناشدون الشعب ويرووا قصصهم ويريدون أن يفهمها أكبر عدد من المواطنين فهل بذلك يكونون شعبويين؟.[2]

وفي إطار بحثنا في الأصول التاريخية للشعبوية فإننا نميز بين ثلاثة أصول للمصطلح تختلف عن بعضها البعض في العديد من الجوانب وحتى المنطلقات الفكرية

الفرع الأول: الشعبوية في التاريخ السياسي الروسي

عرفت الشعبوية كتيار فكري وسياسي كما اشرنا إلى ذلك سابقا، إلا أن هذا التيار السياسي عرف عدة انقسامات كان أشهرها الانقسام إلى التيارين الكبيرين **" السلافيون"** من جهة و**"المتغربون"**[3] من جهة ثانية،

---

[1] عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسية**، الجزء الثالث، دار الهدى المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ص 841

[2] Jan-warner muller, **what is populism?,** university of Pennsylvania press, Philadelphia, 2016, P 7

[3] السلافيون المغتربون : تعتبر شعوب صغيرة تتوزع بشكل رئيسي في شرق وجنوب شرق أوروبا و تمتد الى شمال آسيا والمحيط الهادي وعادة يتم تقسيمهم الى سلافيين شرقيين وعلى رأسهم الروس والأكرانين والبلاروسيين الذين انفصلوا عن التيار الشعبوي

وانجر على هذا الانقسام انقسام ثاني كان سببه الأساسي هو طريقة العمل بين طرف اتخذ من العنف وسيلة لمواجهة السلطة السياسية والذي تبلور بشكل واضح عام 1879 و هي حركة سمت نفسها **"الأرض و الحرية"** التي انقسمت إلى حركة إرهابية تحت مسمى **"إرادة الشعب"** و التي اشتهرت بعمليات الإرهابية والاغتيالات التي ساهمت في صعودها أبرزها اغتيال القيصر ألكسندر الثاني سنة 1882. والحركة الثانية سميت **"بالتوزيع الأسود"** وكان عملها سياسي محض وغير عنفي مما سمح لها بالتطور سياسيا إلى أن العديد من مؤسسيها كانوا من المساهمين في تأسيس حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي الذي تولد عنه الحزب الشيوعي الاشتراكي. حاول منظري الحركة دائما التوفيق بين اتجاهاتهم الاشتراكية الأممية والواقع القومي الروسي بالتركيز على الدور المحوري لطبقة الفلاحين في المجتمع إلا أن الخيبات التي تعرضت لها الحركة في توحيد الفلاحين دعتهم إلى ضرورة تغيير في طريقة العمل السياسي بالتخلي من الثورة والتوجه إلى العمل الإصلاحي.[1]

الفرع الثاني: أصول الشعبوية في الفكر السياسي الأمريكي

كان الشعبوية في الفكر السياسي الأمريكي مفهوم آخر، فكانت بداية الحركة في الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر بقيادة **"حزب الشعب"** الذي كان قيامه نتيجة الاستياء وغضب المزارعين في الولايات الغربية والجنوبية نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية لهم مما دفعهم للخروج والمطالبة بتأميم السكك الحديدية والخطوط الهاتفية والبرقية ومنح حرية سك العملة، فكانت إيديولوجية الشعبويين الأمريكيين مختلفة تماما عن الروس فكانت شعاراتهم مبسطة ومتطرفة اتجاه القوى المالية الكبرى التي كانت سببا رئيسيا في مصائب الشعب وذلك بتآمرها على الفلاحين البسطاء خاصة تآمر وول ستريت (سوق الأوراق المالية)، فحمل الحزب الشعار المتمثل في ضرورة إعادة الجمهورية إلى الناس البسطاء وفي نظرهم هم طبقة الفلاحين في الريف الأمريكي فهم يشكلون الشعب الأصيل المرتبطين بالأرض و يحملون القيم الأمريكية الحقيقية، ورأوا في الثورة الصناعية تهديد لقيمهم و دورهم الاقتصادي.[2]

بالنسبة إلى عدد من المراقبين يجب أن يكون هناك ببساطة سبب ظهور شيئ يسمى **"الشعبوية"** في وقت واحد في روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر، أدت حقيقة أن كلتا الحركتين لهما

السلافيون هم مجموعة عرقية تتكلم اللغات السلافية وتشمل العديد من الشعوب المنتشرة في وسط وشرق أوروبا وجنوب روسيا والبلقان وبعض مناطق آسيا الوسطى. وتشمل بعض الشعوب السلافية الروس، والبولنديين، والتشيك، والسلوفاك، والكروات، والصرب، والسلوفين، والبيلاروس، والأوكرانيين، وغيرهم. أما المغتربون يتضمن عرقية أو جنسية أو دين أو ثقافة، ويمكن أن يعيشوا في أي جزء من العالم. في سياق التيار الشعبوي في روسيا القيصرية، فإن المغتربين الذين انضموا إلى التيار كانوا عادةً من أصول سلافية وعاشوا في الدول الأوروبية الأخرى أو في الامبراطورية الروسية خارج مناطق السلاف.

[1] الكيالي، المصدر السابق، ص 482

[2] خالد طارق عبد الرزاق و ياسين محمد حمد، **الشعبوية دراسة في الإطار النظري**، مجلة دراسات دولية، العدد 78، كلية العلوم السياسية، بغداد، د س ن، ص 07

علاقة بالمزارعين والفلاحين إلى ظهور فكرة سادت حتى القران التسعينيات من القرن الماضي مفادها أن الشعبوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالزراعة، أو أنه كانت بالضرورة ثورة جماعة متخلفة اقتصاديا.[1]

الفرع الثالث: أصول الشعبوية في الفكر السياسي لأمريكا للاتينية

واصطلح عليها بالشعبوية الاجتماعية- اقتصادية، وكانت الموجة الثانية لها فمن أبرز الأسباب التي ساهمت في بروزها تأثير الكبير الذي لحق بالدول أمريكا اللاتينية جراء الكساد الكبير الذي عرفه العالم في الثلاثينيات حيث شهدت فيه اضطرابات سياسية تمخض عنها ظهور "القادة الشعبويين" الذين تمكنوا من تعبئة الجماهير من الطبقات الوسطى والفقيرة ضد مؤسسات الدولة والنخب الحاكمة، من خلال تعبئة أيضا فئات وجماعات شعبية وتطوير حركات وأحزاب. من أبرزها **غيتوليو فارغاس Gitolo Fargas** في البرازيل، **وخوسيه فيلاسكو إيبيارا Jose Villasco Ibarra** في الإكوادور.[2]

في هذه المرحلة ارتبط الخطاب الشعبوي بما سمي بالقادة الكاريزماتيين في دول العالم الثالث الذين كان في غالبيتهم ضباط في الجيش وقادة انقلابات على السلطة (**هوغو شافيز Hugo chavez**مثلا)، أعلنوا معاداتهم للاستعمار والامبريالية ولبقايا الإقطاع وقوى الرأسمالية، وتبنوا شعارات وتطلعات شعوبهم في محاربة واقع الفقر والجهل، وكانت الشعبوية في هذه المرحلة مرتبطة إلى حد كبير في شعاراتها ومطالبها مع خطاب الحركات والأحزاب الاشتراكية والشيوعية التي كانت مهيمنة في تلك الفترة.[3]

إن ما يميز الشعبوية في أمريكا اللاتينية هو ارتكاز القيادات الشعبوية على الإصلاحات الاقتصادية والاهتمام بالظروف الاجتماعية للطبقة الفقيرة و خاصة العمال، حيث كانت السياسية الاقتصادية لهذه الدول هي سياسية حمائية أي التركيز على الإنتاج وتحقيق الاكتفاء الذاتي ومجابهة أزمة التضخم التي عصفت بالعديد منها وتعظيم دور الدولة في الاقتصاد، والبعض من القادة الشعبويين ركزوا في قيام شعبويتهم على تعظيم النيولبيرالية والتشجيع على اقتصاد السوق، بذلك حتى في بلدان المنطقة الواحدة لا يمكن بناء تعريف الشعبوية على منطلق اقتصادي واجتماعي محض.

الفرع الرابع: أصول الشعبوية في الفكر السياسي الأوروبي

عرفت بالموجة الثالثة للشعبوية وسميت بـ" **الشعبوية المعادية للأجانب** "، بدأ نمو الظاهرة منذ ثمانينيات القرن الماضي في أوروبا الغربية موازاة مع تصاعد المد القومي، على اعتبار أن الشعبوية ظاهرة سياسية تحركها عوامل اقتصادية و اجتماعية و سياسية، فمن بين ابرز العوامل التي ساهمت في بروز الظاهرة في أوروبا نجد التفاوت الاجتماعي الصارخ، ارتفاع نسبة البطالة، وتضاعف عدد المهاجرين واللاجئين، ولعبت

[1] Jan-warner muller, Ibid, P 18

[2] طارق عبد الرزاق، المصدر السابق، ص 9

[3] مرشد القبي، **الشعبوية إنعاش الديمقراطية أم تهديد لها**، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 31، لبنان، 2011 ، ص

وسائل التواصل الاجتماعي الدور الأساسي في انتشار الخطاب الشعبوي بفتح المجال لنقاشات وتسييس بعض المواضيع الحساسة، إلى جانب آثار العولمة الاقتصادية والثقافية.[1]

ارتبط ظهور الشعبوية الأوروبية ارتباطا وثيقا مع الأحزاب اليمينية المتطرفة التي استغرقت وقتا طويلا للوصول إلى الحكومة الائتلافية كما هو الحال مع "حزب الجبهة الوطنية الفرنسية" وحزب الحرية النمساوي"، برزت شعبويتهم نتيجة الاهتمام المتزايد بالقيم ما بعد المادية post-matérialisme و بحملها لآراء سلطوية وقومية بإعطاء الأولوية للقضايا الاجتماعية والثقافية والقيم، فمن بين القضايا التي ساعدت على بروز النزعة الشعبوية الأوروبية لدى هذه الأحزاب المعادة الشديدة للمهاجرين.[2] و تتجلى هذه المعاداة من طرف الأحزاب اليمينية المتطرفة في خطاباتها التي يغلب عليها أسلوب التخويف من مخاطر الهجرة والإرهاب على رفاهيتهم وأمنهم، فمنذ أحداث 11 سبتمبر 2001 زادت حدة العداوة لجالية المسلمة في أوروبا على وجه الخصوص بعدما كانت قبل أحداث سبتمبر تعادي المهاجرين غير المسلمين، ويسعى أيضا القادة السياسيين الأوروبيين النفوذ إلى قلوب الناس وبإقناعهم بنجاعة برامجهم السياسية، كما يسعى الجانب اليساري بمساندة المحرومين والمهددين من تداعيات العولمة.[3] غير أن هنا العديد من الأحزاب الشعبوية في أوروبا تمكنت من خلال توظيفها لهذا النوع من الخطابات من الوصول إلى السلطة على غرار فنلندا، وهنغاريا، وسويسرا، والنرويج.

تشكل الشعبوية في أوروبا احد أخطر الأنواع الشعبوية في العالم وذلك لما تقوم عليه من تمييز ومعادة للآخر مما قد يؤدي إلى نزاع داخلي وهو ما تشهده أوروبا حاليا نتيجة الحملات الشرسة التي تقوم بها الأحزاب اليمينية المتطرفة ضد المهاجرين واللاجئين، والأخطر من ذلك أن شعبوية هذه الأحزاب مكنتها من الوصول إلى السلطة مثل ما حدث مع اليمين المتطرف في فرسا بقيادة ماري لوبان التي حققت إختراقا تاريخا للجمعية الوطنية في الانتخابات التشريعية في جوان الماضي مما قد يزيد من حدة الشعبوية و التطرف على المستوى الرسمي.

المطلب الثاني: مفهوم الشعبوية

يعتبر الكاتب **"جان ويرنر مولر jan- werner muller"** من أبرز البحثين في المصطلح في كتابه **"ما الشعبوية؟" ? what is populism** حيث تحدث عنه بإسهاب كبير، فتطرق في مستهل كتابه لعدة أمثلة عن الشعبوية في العالم آخرها دونالد ترامب Donald Trump في الولايات المتحدة الأمريكية، واليمين في أوروبا بقيادة لوبان lepen الأب و البنت و اليسار ممثلا في سيريزا siriza في اليونان، وسماه في أمريكا اللاتينية بالمد الوردي تبناها هوغو شافيز Hugo chavez ، ورفائيل كوريان Raphael Correa ويتسأل عن ما هو الشيء المشترك بين

[1] سعيد الصديقي، **الشعبوية أبعادها وتأثيراتها السياسية**، مجلة ذوات للدراسات والأبحاث، العدد 47، 2018، ص 77

[2] طارق عبد الرزاق، المصدر السابق، ص 12

[3] مرشد القبي، المصدر السابق، ص 37

هؤلاء الفاعلين السياسيين الذين يمثلون تيارات وأحزاب سياسية مختلفة حتى يطلق عليهم بالشعبويين، وما هو المعنى الدقيق للمفهوم حتى يكون واسعا إلى درجة أنه يغزو العالم السياسي بهذه الصورة.

وبذلك فإن من خلال التمعن في المساقات التاريخية الشعبوية في العالم فهو مصطلح متلون كما يصفه العديد من الباحثين السياسيين، إلا أن هناك من استخلص ميزة يكن أن تتميز بها الشعبوية هي أنها تمجد الشعب ويعتبر الشعبويين نفسهم الممثل الوحيد للشعب ومن جانب آخر يعادي السلطة الحاكمة ويصفها بالنخبة الفاسدة.

وفي هذا السياق يرى "**جون ويرنر مولر jan- werner muller** " " أن الشعبوية هي مفهوم أخلاقي خاص بالسياسة، وهو طريقة لإدراك العالم السياسي الذي ينتج شعبا نقيا أخلاقيا وموحدا، فيعتبر أن انتقاد النخبة الحاكمة شرطا ضروريا لكن ليس كافيا للتأهل كشعبوي، وبخلاف ذلك فإن أي شخص ينتقد القوى والوضع الراهن لأي بلد سيكون شعبويا بالتعريف، فهم في الغالب يكونون مناهضين للتعددية يدعون أنهم يمثلون الشعب وهم وحدهم المنافسون السياسيون والآخرون هم جزء من النخبة أللأخلاقية و الفاسدة على الرغم من أنهم هم أنفسهم لا حول ولا قوة لهم بمجرد وصولهم إلى الحكومة، ولن يعترفوا بشيء اسمه المعارضة الشرعية.[1]

يصف **"كانوفان Kanovan"** الشعبوية بأنه القدرة على التواصل بلغة العامية لتقديم تحليل سياسي بسيط ودقيق مثل بعض الحلول التي يقترحونها، وتذهب دراسة **"كازين Cazin"** الشعبوية في الولايات المتحدة الأمريكية بأنه أسلوب من الخطاب السياسي أو أسلوب الإقناع حيث يستخدم المتحدثون "العبارات، والاستعارات، والموضوعات، والمواصفات، والصور اليومية لإقناع أعداد كبيرة من الأمريكيين بانضمام إليهم أو دعمهم وبذلك فإن الإقناع الشعبوي المبني على القوة اللغة البسيطة والمباشرة يعني تقليل تعقيد القضايا المعروضة على الناخبين فهي سمة من سمات السياسة المعاصرة بشكل عام.[2]

في ظل هذا التضارب الفكري في البحث عن مفهوم الشعبوية من طرف الدارسين من مداخل متنوعة، يذهب ألكسندر دورنا alexander Duginaإلى التأكيد على الطابع النفسي والظرفي والاحتجاجي للظاهرة، فهو يرى أنها شكل بلا مضمون، احتجاج ونقد بدون فكر عقلاني، وبدون تبرير إقناعي فهي رد فعل عاطفي معد وصاخب، ويقدم دورنا نموذج أصلي للشعبوية حتى يتمكن تحديد مفهومها المتلون من خلال مجموعة من الصفات "القائد الكاريزماتي، النداء الموجه إلى الشعب، معاداة النخبوية، خطاب ينبذ المواطنة العالمية، التحرك الجماهيري، وضع القطيعة، الإصغاء إلى صوت فضائل الشعب الأصلية.[3]

Benjamin Arditi, **populism, or, politics at the edges of democrady**, contemporary politics, Universidad Nacional autonoma de MEXICO, volume 9, N° 1, 2003, P21

[3] مرشد القبي، المصدر السابق، ص 38

أما "**أندري تاغييفAndrei Tarkovsky** " من جهته يبرز الطابع السياسي للشعبوية فيرى أنها عقيدة سياسية أو نظام سياسي، وهي أسلوب سياسي يقوم على مجموعة من العمليات الخطابية التي يعين النظام السياسي، ويدعم هذا الطرح "**فريديريك بواليFrederic Beigbeder** " بأن الشعبوية لون سياسي يمكن أن تصطبغ به أية حركة أو إيديولوجية أو حزب.[1]

من خلال هذه التعاريف وغيرها التي تحاول أن تقدم مفهوم موحدا الشعبوية، إلا أن ملاحظة التعاريف المختلفة فإنه يؤكد لنا الطابع المتلون الشعبوية، وعليه يمكن ضبط هذا المفهوم من خلال ميزات مشتركة منها التوجه إلى الشعب دون تحديد من هذا الشعب ودون تحديد الفئة المعنية بالخطاب، أن يحمل الخطاب العداء للنخبة الحاكمة ووصفها بالنخبة أللأخلاقية، ويعتبر الشعبوي نفسه الممثل العشب، ويعتمد في خطاباته على اللغة البسيطة السهلة التي يفهمها الغالبية الغرض منها التسلل إلى ذاتهم وكسب تأييدهم، كما نجد أن الخطاب الشعبوي تختلف دوافعه ومنطلقاته لكن في الغالب تكون دوافع نفسية عاطفية قد تصل إلى حد التطرف والعداء للطرف الآخر، كما أن الشعبوية لا تقتصر على توجه سياسي معين أو أيديولوجية معينة إنما هي صفة قد تتصف بها أي حركة أو أي سياسي لكن تختلف درجة تركيزها وشدتها بحسب الدوافع التي انطلق منها.

و سنحاول في دراستها هذه تسليط الضوء على الشعبوية السياسية من منظور الخطاب السياسي لها الذي يتداخل فيه الخطاب السلوك الشعبوي معا، فيقوم هذا الخطاب على استغلال جو من العفوية والغضب السياسي للشعب اتجاه النخبة الحاكمة وانعدام الثقة، كما يستغل الأزمات وقضايا الساعة بتوظيفها في خطاباته بهدف احداث تغيير سياسي عبر وصولهم إلى الحكم يضع فيها الشعبوي نفسه ممثل حقيقي للشعب وما عداهم هم أعداء، فغالبية الأحزاب السياسية الشعبوية تكون خطاباتهم مستهدفة عواطف الناس لا عقولهم.

المطلب الثالث: الشعبوية والديمقراطية

من خلال التطرق لمفهوم الشعبوية والتعرف على سماتها التي يتضح لدى البعض أن الشعبوية مرادف للديمقراطية وبمعنى أكثر تحديدا الديمقراطية التمثيلية من خلال قيامها على الدفاع عن مصالح الشعب من طرف أشخاص يعتبرون أنفسهم ممثلين الشرعيين له، كما تتصف بوجود التنافس والتصادم بين الفاعلين السياسيين من أجل الوصول إلى السلطة، فهذه السمات وغيرها تبعث على تضارب الأراء حول ما اذا كان الخطاب الشعبوي عامل مساهم في العمل الحزبي وتقوية الجبهة الحزبية أم انها تهديد حقيقي للعمل الحزبي.

فالشعب وفق المنظور الشعبوي هو مجموعة متجانسة لا تعرف الحدود بين النخبة الحاكمة و المحكومين، وتفرق بين مجموعتين متجانستين هما الشعب النقي صاحب السلطة من جهة، ومن جهة أخرى

[1] المصدر نفسه

جماعة النخبة التي تتصف بالفساد وذات مصالح ضيقة تشكل خطرا على مصالح الشعب.[1] فعلى الرغم مما تحمله كلمة الشعب من معاني كثيرة إلا أن القادة الشعبويين تمثل بالنسبة إليهم أداة للفصل بين مصالح عامة الشعب الذين يمثلون الفضيلة وبين النخب الحاكم التي يعتبرونها أعداء الإرادة العامة ورمزا للفساد، فيكون معادة الطرف الآخر وكرهه من أكثر الخاصيات التي تميز مختلف الحركات الشعبوية، فبذلك تستخدم الأحزاب السياسية أنواعا مختلفة من الديماغوجية الشعبوية لخدمة قضايا تحررية أو التحريض العنصري والتعبئة العدوانية (مثل ما يلاحظ على الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا ضد المهاجرين وخاصة الجالية المسلمة).[2]

أما فكرة الشعب من منظور الديمقراطي هو بنية تتكون من مجموعة من الطبقات أو الفئات أو جماعات المصالح تقتضيها الطبيعة الديمقراطية تقوم على مبدأ التنافس والتجاذب وتضارب المصالح، فالديمقراطية تضع الحدود بين النخبة الحاكمة والمحكومين وذلك لتحديد دور النخبة في الاستجابة لمطالب الشعب المتنوعة بشكل كبير إلى حد التشتت ومتنامية تتصاعد إلى حد المغالاة والتي تكون بلغة عفوية وظرفية، إلا أن منطق السياسية يتطلب التجانس والتعميم والعقلانية فكل هذا الأمور من شانها أن تضع حدا بين النخبة والشعب وتجعلها مختلفة فلغة النخبة تختلف عن لغة الشعب و رؤية النخبة للمطلب تختلف عن رؤية الشعب، فالشعبوية بإلغائها لكل هذه الحدود يرجعنا إلى معضلة الديمقراطية المباشرة و استحالة تطبيقها في مجتمع على قدر كبير من الاتساع و التنوع.[3]

فمن هذا المنطلق يتبين لنا أن الشعبوية والديمقراطية مفهومان متعارضان لا يتفقان في عدة نقاط ابرزها فكرة الشعب التي تشكل نقطة المحورية لهما، كما تشكل فكرة الحقوق والحريات أيضا نقطة تصادم أخرى فهي بالنسبة للديمقراطية من بين الأسس التي تقوم عليها في حين ترفضها الشعبوية تماما لكونها تشكل قيود على السيادة الشعبية، وهناك من الدارسين من يرى أن الشعبوية هي الخطر الكامن في الديمقراطية وذلك لما يمكن أن تحمله الشعبوية.

إذ أن مكمن الخطر في الأغراض التي يخدمها الخطاب الشعبوية والتعبئة الشعبوية التي تكون موجهة ضد المؤسسات الديمقراطية لا ضد السياسات، فبذلك يكون هذا الأسلوب خطرا على الديمقراطية إذا زاد في نسبة حدة الخطاب الشعبوي وبالتالي الزيادة في حجم الكراهية الذي من شأنه أن يقسم المجتمع إلى فئة "نحن" التي تمثل الشعب النقي و فئة "هم" المؤلفة من النخب السياسية و التي يتخيل أنها أعداء الشعب، وبوصول

---

[1] مرشد القبي، المصدر السابق، ص 39

[2] طارق عبد الرزاق، المصدر سابق ذكره، ص 13

[3] مرشد القبي، المصدر السابق، ص 40

الشعبوية إلى هذا الحد فإنها تصبح أيديولوجية معادية للديمقراطية الليبرالية لا مجرد إستراتيجية في العمل السياسي.[1]

وبذلك تكون الشعبوية على مستويين مستوى الأول لها ويكون في إستراتيجية العمل السياسي و تكون بمثابة إستراتيجية يعمد إليها الحزب السياسي أو القيادة السياسية وذلك بتركيز على نقد السياسيات والأشخاص واستغلال الأزمات والقضايا الاجتماعية بهدف التأثير على الجمهور وكسب تعاطفهم وهي في هذا المستوى لا تشكل خطورة على الديمقراطية التمثيلية، أما المستوى الثاني الشعبوية فهي الأشد خطورة أين يكون أسلوب العمل السياسي للشعبوي أكثر حدة و أكثر تطرفا يقوم على نقد المؤسسات الديمقراطية ورفض الأجانب وتأجيج الكراهية ضدهم تقسيم المجتمع بين " نحن و هم" وبذلك تكون الشعبوية أيديولوجية تتبنى أفكارها وتسعى لتجسيدها ومن لا يؤيد إيديولوجيتها يكون في نظرهم عدو الشعب.

وفي تأكيد على هذا الطرح حول خطورة الشعبوية على الديمقراطية التمثيلية يذهب **"إدوارد شيلز Idward chilz"** في بحثه في خطر الشعبوية على سيادة القانون للحفاظ على الديمقراطية، يرى أن الشعبوية تمثل أكبر تهديد لسيادة القانون ويكمن هذا الخطر في النواة الصلبة الشعبوية والمتمثلة في الإيمان الراسخ بأن الشعب ليس فقط مساويا للحكام بل هو أفضل من حكامه ملغيا بذالك الحدود التي رسمتها الديمقراطية بين الحكام والمحكومين، وسميت **بالديمقراطية المفرطة hyper Democracy** التي تعادي أي صورة للتجانس أو الديمقراطية الشعبوية كما يسميها يرى فيها تهديد لمراكز السلطة و القوة في المجتمع ويتشكل أكبر خطره في المساس باستقلالية القانون والقضاء كمؤسستين أساسيتين لشرعية الأنظمة الديمقراطية.[2]

المبحث الثاني

الشعبوية في خطاب الأحزاب السياسية في الجز ائر

بعد الخوض في مفهوم الشعبوية بإسهاب فإن المفهوم يعد من المفاهيم الأساسية التي استعملت لتحليل إيديولوجية النظم السياسية وأنماط الممارسات الحزبية السياسية، حيث تبرز أهمية المفهوم في قدرته على تحليل وفهم العلاقة بين الثقافة السياسية والسياق التاريخي والخيارات الإيديولوجية والسياسية والأدوات التي تستعملها الأحزاب السياسية في صراعها على السلطة.[3] فمفهوم الشعبوية هو من المفاهيم المتأصلة في الممارسة

---

[1] عزمي بشارة، **الشعبوية الأزمة الدائمة للديمقراطية**، مجلة سياسيات عربية المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، العدد 40، قطر ، 2019، ص 9

[2] عزمي بشارة، المصدر السابق، ص 11

[3] نوري دريس، **الجيش و السلطة و الدولة في الجز ائر من الإيديولوجية الشعبوية إلى الدولة النيوباترومونيالية**، سياسات عربية، العدد 35، نوفمبر 2018، ص 30

[3] بن جدة فريدة، زريق الناقد، **الخطاب الشعبوي و دوره في صناعة السلوك الإنتخابي في الجز ائر**، مجلة الناقد للدراسات السياسية، مخبر العلوم السياسية، المجلد 05، العدد 02، جامعة المسيلة، الجزائر، 2021، ص 199

[3] Jan-warner muller, **what is populism?,** university of Pennsylvania press, Philadelphia, 2016, P

السياسية في العمل الحزبي في الجزائر منذ الثورة التحريرية ويشكل مؤتمر طرابلس 1962 الإعلان الرسمي للممارسة الشعبوية في الجزائر من خلال حزب جبهة التحرير الوطني والتي اعتبرت الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري أنا ذلك.

المطلب الأول: الشعبوية خلال الثورة التحريرية ودو افعها

يقول الأستاذ **هواري عدي** أن الأيديولوجية الشعبوية تغلغلت بقوة في العمل السياسي حيث طبعت خطاب العديد من الأحزاب، فكان أساس الأيديولوجية الشعبوية هو توحيد صفوف الشعب الجزائري في مواجهة عدو مشترك (الاستعمار الفرنسي)، وكان حزب جبهة التحرير الوطني يعتبر نفسه الممثل الشرعي والوحيد للشعب فكون صورة شعب موحد لا تتقاطع معها مصالح متباينة على المستوى الإيديولوجي أو الاجتماعي.[1] اتسمت الإيديولوجية الشعبوية لحزب جبهة التحرير الوطني باعتبار الشعب الجزائري القوة الثورية الحقيقية في مواجهة المستعمر على أساس أنهم يشكلون هيئة سياسية متجانسة، شكل مؤتمر طرابلس 1962 الأرضية التي استندت عليها الإيديولوجية الشعبوية للحزب حيث بين المؤتمر الهيكل الهرمي للمجتمع الجزائري من الفلاحون الفقراء الذين يشكلون الأغلبية، البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة، والبرجوازيون ، فبحسب برنامج طرابلس وحد كل هذه الفئات باستثناء الذين تعاونوا مع الاستعمار.[2]

بالوقوف على مميزات شعبوية جبهة التحرير الوطني مقارنة مع ما تطرقنا إليه سابقا يمكن القول أن جبهة التحرير الوطني تبنى ايديولوجية شعبوية بكل ما تحمله الكلمة من معنى حيث اعتبر الشعب الجزائري وحدة سياسية ترفض كل من يعارضه أو يناقضه في كفاحه ضد المستعمر الفرنسي و على وجه الخصوص من يتعاطفون مع المستعمر، والملاحظ أيضا أن نقطة الاختلاف أن شعبوية الحزب في الجزائر كانت ذات منطلق ايجابي الهدف منها توحيد الصفوف في موجهة عدو مشترك والدفاع عن قضية مشتركة للشعب الجزائري واعتبار من يخرج عن هذا التوجه معادي للشعب الجزائري، وهو ما يؤكد لنا مرة أخرى على مدى ديناميكية الشعبوية متلون مفهومها

المطلب الثاني: الشعبوية في ظل الحزب الواحد

بمجرد استرجاع الجزائر سيادتها والانطلاق في بناء أسس الدولة الجزائرية المستوحاة من مؤتمر طرابلس 1962 الذي أقر الأحادية الحزبية المتمثلة في جبهة التحرير الوطني كحزب وحيد على الساحة السياسية، رغم كل هذا إلا أن الحزب استمر في استعمال الأيديولوجية الشعبوية لكن بشكل مختلف هذه المرة، يرى الأستاذ **عدي** أن الإيديولوجية الشعبوية التي كانت قبل الاستقلال هي ذو نزعة قتالية ضد عدو أجنبي

[1] Lahouari addi, **de la permanence du populisme Algérien**, revue peupeles méditerrannéens « algérie vers l'Etat islamique ? », N° 52-53, Université déoran, 1990, P37

[2] Lahouari addi, populisme **neo-patrimonialisme et démocratie en Algérie**, RGALISSOT René populismes du tiers monde, lharmattan, Paris, 1997, P226

ستنتهي بمجرد استقلال الجزائر إلا أن حزب جبهة التحرير أعادة استخدام هذه الشعبوية بعد الاستقلال لإضفاء الشرعية على السلطة القائمة[1]، غير أن الشيء الجديد هو الارتكاز في هذه المرة على الأسس الاقتصادية والاجتماعية، التي برزت من خلال الإصلاحات الاقتصادية التي أقرها الرئيس الراحل هواري بومدين بإضافة إلى الشخصية الكاريزمية التي ساعدت بشكل كبير حزب جبهة التحرير على الحفاظ على شرعيته في السلطة.

كان دستور 1963 بمثابة التكريس الرسمي سياسيا واقتصاديا وقانونيا لشعبوية الحزب أو على الأقل بني على الأسس الشعبوية، حيث رسم حدود اللعبة السياسية بشكل نهائي بتأكيده على أن حزب جبهة التحرير الوطني هو الحزب الوحيد أن جيش التحرير الوطني يمكن له أن يؤدي دورا سياسيا، وبرز الدور الشعبوي لحزب جبهة التحرير من خلال ما نص عليه الدستور في ديباجته أن الحزب مكلف بـ

- تعبئة وتنظيم الجماهير الشعبية وتهذيبها لتحقيق الاشتراكية
- تدارك وتشخيص مطامع الجماهير الشعبية بإتصال الدائم بها.[2]

والجدير بإشارة إلى أن نقول أن حزب جبهة التحرير الوطني قبل الاستقلال ليس هو بعد الاستقلال فمن قبل كان ممثل الشعب وحامل تطلاعاته في الكفاح ضد المستعمر الفرنسي أما بعد الاستقلال فيمكن القول عليه إن صح التعبير حزب الدولة حيث كان يمثل الدولة باعتباره الحزب الوحيد بموجب الدستور مما جعل الحزب يغير من أيديولوجيته الشعبوية من الشرعية الثورية إلى الدفاع عن مصالح الدولة و تماسكها إلى المراهنة على الإصلاح الاقتصادي، وفي هذه المرحلة من الشعبوية يمكن تشبيهها بالشعبوية التي انتشرت في أمريكا اللاتينية التي كانت ذات مرتكزات اقتصادية وساهم في نجاحها القيادة الكاريزمية والطابع العسكري للسلطة وهو ما نلمسه في الجزائر في تلك المرحلة حيث غلب على النظام السياسي الطابع العسكري المنبثق من الثورة التحريرية إلى جانب القيادة الكاريزمية للرئيس هواري بومدين كلها عوامل مكنت حزب جبهة التحرير من ممارسة الشعبوية بامتياز، كما كان للعامل الاقتصادي الدور الكبير في رسوخ شعبوية جبهة التحرير نتيجة المؤشرات الايجابية التي حققها الاقتصاد جراء ارتفاع في أسعار المحروقات خلال تلك الفترة ومضي الرئيس الراحل في تنفيذ وعوده الاقتصادية الاجتماعية.

المطلب الثالث: الشعبوية في ظل التعددية السياسية

لطالما لعبت المؤشرات الاقتصادية الدور الأساسي في بروز شعبوية جبهة التحرير كحزب للدولة ومصدر قوته، إلا أن واقع الحال لم يدم طويلا فتراجع أسعار النفط خلفت مشاكل الاقتصادية واجتماعية عجزت

[1] Benjamin Arditi, **populism, or, politics at the edges of democrady**, contemporary politics, Universidad Nacional autonoma de MEXICO, volume 9, N° 1, 2003, P21
[2] Jan-warner muller, **what is populism?,**Op.cit, P 19

الدولة عن مواجهتها وأصبحت من جهة ثانية مصدر لايدولوجية شعبوية لطرف آخر من اللعبة السياسية و هي أحزاب المعارضة، بذلك تكون قد أضعفت شرعية الشعبوية الثورية.

لقد حطمت أحداث أكتوبر 1988 هذه الأسطورة التي هي في الأصل الصعوبات الاقتصاية و الاجتماعية في الجزائر فإن الحزب الأكثر معارضة للسلطة يدعي بعد أكتوبر 1988 أن الشعبوية المحتضرة لجبهة التحرير الوطني تعييد احيائها في اطار صياغة دينية، وفي الواقع فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تنتقد جبهة التحرير الوطني لأنها لم تعد قادرة على إحيائها والتعبير عنها من خلال قاداتها، بذلك تكشف الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن نفسها على أنها حركة شعوبية مثلها مثل جبهة التحرير.[1]

يعتبر الأستاذ **هواري عدي** أن هذه المرحلة ليست بداية شعوبية جديدة بل هي استمرار للعمل الشعبوي لجبهة التحرير الوطني لكن بصبغة دينية التي كانت على حد تعبيره ذات طابع علماني استغلت الظروف السياسية وتبني الجزائر للتعددية السياسية. فإن أيديولوجية الحزب ذات المنطلق الديني نصت على أن "الحكم لله" دون التخلي عن تمجيد الشعب وطالبت بفرض مرجعية الدينية في الفضاء الاجتماعي باعتماد على قوة وسائل الإعلام في هذه الحالة اليومية "المنكدة" نجحت هذه الإيديولوجية في وقت قصير من أن يتردد صداها بقوة في جميع أنحاء المجتمع وستعتمد في شرعيتها على عنف الكلمات والحقائق، وسيغير الحزب من إستراتيجية المؤسسين للحركة الإسلامية في الجزائر إلى إستراتيجية تنطلق من نظرات الشباب العاطلين عن العمل الأشد فقرا.[2] وتجلت الأسباب الرئيسية في التحول من الخطاب الشعبوي "العلماني" إلى الخطاب الشعبوي " الديني" هو الفشل الذريع الذي منيت به السياسية الاقتصادية والاجتماعية في عهد نظام الحزب الواحد والتي منعت من تشكل حوار بين الحاكم والمحكوم، فالطبيعة السياسية للحزب الواحد التي ترفض الحوار والانتقادات والتنديد بشكل مباشر كان لا يمكن التعبير عنها إلا من خلال المساجد مما جعل الدين وسيلة قوية للحزب للاحتجاج على الرغم من أنه لم يكن خطابا سياسيا وإنما ذو طابع أخلاقي ديني.[3]

والجدير بالذكر أن الخطاب الشعبوي للجبهة الإسلامية للإنقاذ بإضافة إلى الخطاب الديني كان من بين مرتكزاته أيضا الشرعية الثورية التي كانت قد بنت عليها جبهة التحرير الوطني شعبيتها، إلا أن الجبهة الإسلامية تبنت الإيديولوجية الشعبوية قائمة على رفض الغير وبالذات حزب جبهة التحرير الوطني حيث كانت ترى فيها النخبة الحاكمة الفاسدة التي تهدد مصالح الشعب الجزائري وكان رفضها للجبهة ليس كحزب سياسي وإنما كمؤسسة سياسية في الدولة، حيث كان للجبهة سياسية عنيفة اتجاه السلطة إذ كان الخطاب الشعبوي للجبهة

---

[1] Lahouari addi, **de la permanence du populisme Algérien,** Op.cit, P 37

[2] Nabila Bouchaala, Aissa Marah, Quand **le médiatique devient populiste risque sur l'apprentissage en Algérie,** recherches froncophones en sciences de léinformation et de la communication, REFSICOM, 2020, P 7

[3] Lahouari addi, Ibid, p 38

يتصف بالتعصب والدوغمائية[1] والتطرف مما تولد عنها دوامة من العنف لمدة عشرة سنوات. إلا أن أهم ما يمكن تميزه أيضا عن الخطاب الشعبوي للجهتين كان محتواه موجه إلى كافة الطبقات الاجتماعية المحرومة والفقيرة والتي تصبغ بالطابع الثوري وفقا لوجهة النظر الماركسية، يعارضون الحداثة بشكل موضوعي لأسباب ثقافية أو إيديولوجية، فكلا النسختين معنية بمصالح الشعب وتقييمها أساسا من وجهة نظر ثقافية وأيديولوجية مما نفهم بعد ذلك أنه ليس هنا قطيعة بين جبهة التحرير والجبهة الإسلامية في إيديولوجيتهما الشعبوية بل هي استمرارية في كثير من النواحي أساس التعبير السياسي الإيديولوجي لشعب فقير.[2] بذلك فإن أحداث أكتوبر 1988 كانت بمثابة إعلان عن نهاية الإيديولوجيا الشعبوية القائمة على الشرعية الثورية لجبهة التحرير، واستمرار الخطاب الشعبوي لكن في ظل خطاب جديد.

المبحث الثالث

الخطاب الشعبوي آلية الأحزاب السياسية للاستمرار في مرحلة التعددية السياسية

تشكل مرحلة التعددية السياسية في الجزائر من أبرز المحطات التاريخية في المسار السياسي الجزائري فهي تشكل بداية عملية التحول الديمقراطي فكانت باعتماد التعددية السياسية من خلال دستور 23 فيفري 1989 الذي أعترف بهذا الحق فتوالت إنشاء الأحزاب السياسية غير أن هذه المرحلة عرفت نتائج غير ما كانت تتوقعه السلطة فالانتخابات التي تلت هذه التحول كانت بداية لمسار تعددي عسير كانت الشعبوية فيه متأصلة سواء من طرف أحزاب السلطة أو من طرف أحزاب المعارضة.

المطلب الأول: استمرار الخطاب الشعبوي كممارسة لمختلف الأحزاب السياسية

شكلت مرحلة الألفية مرحلة هامة في المجال السياسي فبعد انفراج الأزمة السياسية وإقرار المزيد من الإصلاحات السياسية ، فتبني الاختيار التعددي يعني نشوء العديد من الأحزاب السياسية والدخول في مرحلة البناء الديمقراطي مما قد يضعف الشعبوية ويجعل المنافسة سياسية قائمة على البرامج و استقطاب الناخبين فقد شكلت هذه المرحلة نقطة تحول هامة في تغير الخطاب الشعبوي فمرحلة العشرية السوداء كان بمثابة درس استخلص منه النظام السياسي الجزائري العديد من العبر التي مكنته من تصحح العديد من الأخطاء، وكانت الشعبوية العامل البارز في تلك المرحلة فالبعض من اعتبرها السبب الرئيسي في فشل التجربة الديمقراطية من أولها في حين يرى جانب آخر أن ممارسات النظام السياسي كان عكس ما تمناه الشعب الجزائري خاصة بعد الضربة الاقتصادية الموجعة التي تلقها الاقتصاد الجزائري

---

[1] الدوغمائية: يرتبط المصطلح بكلمة دوغما الواردة في الفكر الديني المسيحي الكاثوليكي التي تعني المبدأ الذي ينسب إليه الصحة المطلقة متجاوزا رأي الشخصي أو أي تردد في الذهن اكتسب المصطلح مغزى سياسيا واجتماعيا سلبيا ليصف المناهج والأساليب الفكرية المتعصبة والمتحجرة والتي تجافي المنطق والمعقول،، للمزيد أنظر عبد الوهاب الكيالي الموسوعة السياسية الجزء الثاني المؤسسة السياسية للدراسات والنشر "دار الهدى" ص 699

[2] Lahouari addi, Ibid, P 41

شكل الخطاب الشعبوي في هذه المرحلة أكثر أساليب العمل السياسي بالنسبة للأحزاب السياسية، فكان السمة البارزة في مختلف المحطات الانتخابية، إلا أن الخطابات الشعبوية للأحزاب كانت ذات نسق متشابه ومتكرر من خلال استحضار انجازات كل حزب وقدرته على تحقيق آمال وطموحات المواطن الجزائري في العيش الكريم في مقابل وصف الطرف الآخر بالعجز والتهجم عليه، فكانت خطاباتهم ذات محتوى متنوع بين الخطاب الديني والوطني إلى جانب استحضار قدسية الثورة التحريرية وتبيان هدف الحزب الذي جاء ليكمل انجازات ثورة التحرير.[1]

عرفت الجزائر بعد إقرار التعددية السياسية العديد من المناسبات الانتخابية فكان الخطاب الشعبوي هو الحاضر بامتياز بالنسبة للأحزاب السياسية المشاركة في هذه الانتخابات(ما يزيد عن 60 حزب معتمد)، إلا أن الشعبوية هذه المرة كانت كأسلوب للعمل السياسي فهي لم ترق إلى مستوى تبني الأفكار الأيديولوجية الشعبوية وإنما اقتصرت على تصريحات وممارسات كانت في نظر البعض صورة هزلية لكن ذات دلالات شعوبية هدفها التأثير على أكبر عدد من الناخبين وكسب تأييدهم مستغلة الأزمات الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية فبساطة الخطاب السياسي كانت حاضرة بقوة تعتمد على لغة عفوية وعامية، فهناك من وصف المشهد السياسي في تلك المرحلة بالتعفن السياسي بإضافة إلى انتشار ظاهرة الفساد السياسي التي رأى فيها البعض العامل الأساسي الذي ساهم في انتشار الممارسة الشعبوية وغياب النخب السياسية والفئة المثقفة من أساتذة و أكاديميين و سمح ببروز فئة محدودة المستوى المعرفي مكنتها قدرتها على إتقان الخطاب الشعبوي من الظهور.

المطلب الثاني: الحراك الشعبي كإطار للممارسة الشعبوية

أظهرت بيانات المؤشر العربي 2019/ 2020 الخاصة بالحراك الشعبي في الجزائر ترسيخ ظاهرة الخروج إلى الشارع للاحتجاج كشكل مهيمن من أجل التعبير عن المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في الوقت الذي تراجعت فيه صور المشاركة السياسية المؤسسية مثل الانتظام في الأحزاب السياسية والنقابات، فكانت تدهور الأوضاع السياسية وتراجع المؤشرات الاقتصادية من بين أهم العوامل التي دفعت بالشعب إلى الخروج إلى الشارع هذا من جهة و من جهة ثانية كانت الشعبوية من بين ابرز العوامل التي ساهمت أيضا في الاحتقان في الشارع الجزائري فالانتخابات التشريعية 2017 وما حملته من خطاب شعبوي من طرف الأحزاب السياسية مثل التهجم من طرف احد قيادة الأحزاب السياسية البارزة على أشخاص ووصفهم بالعداء للشعب و تهديد مصالحه ووصف حزبه بالدولة واستغلال الأزمة الاقتصادية التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة أيضا مادة سائغة للخطاب الشعبوي للأحزاب

فمرحلة الحراك الشعبي في فيفري 2019 كانت مرحلة مميزة بنهاية حقبة من حكم جماعة التي اصطلح عليها "بالعصابة" المتمثلة في حاشية الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة، ملئ الشارع الجزائري الخطاب الشعبوي إلى درجة لا تتصور الجميع يخوض في الأمور السياسية من خلال النقاشات حول المرحلة القادمة ومن خلال الشعارات التي حملت خلال المسيرات التي كانت تنظم أسبوعيا، ناهيك عن خطابات الأحزاب السياسية التي وظفت كل خبرتها الشعبوية بهدف ركوب موجة الحراك و كسب شرعية الشارع فبنهاية الحراك وبداية تأسيس ما سمي بالجزائر الجديدة من خلال بناء مؤسسات جديدة فعرفت عديد من المحطات الانتخابية (الانتخابات الرئاسية 2019، الانتخابات التشريعية في 2020، والانتخابات المحلية) التي شاركت فيها العديد من الأحزاب السياسية وككل مرة كان الخطاب الشعبوي هو الغالب وهو الأسلوب المحبذ لدى الأحزاب السياسية لكن هذه المرة بشكل مختلف فكانت مصطلح "العصابة" (النخبة الفاسدة في قاموس الشعبوية) هي المصطلح الرائج في الوسط السياسي من خلال التهجم عليهم والتحذير من خطرهم على مصالح الشعب واعتبارها العدو الحقيقي للشعب، بإضافة إلى مباركة الحراك ودور الشعب في الدفاع عن مصالحه، كما كان للمؤسسة العسكرية الحظ الوافر من الخطاب الشعبوي بتعظيم دوره و التحذير من التهديدات الخارجية كلها كانت بمثابة مواضيع مستساغة ومبسطة من طرف قيادي الأحزاب السياسية في خطابات شعوبية بهدف استرجاع ولو القليل من الشرعية التي فقدتها. كما عرفت الحملات الانتخابية بعض الممارسة السلبية (الهزلية) التي شوهت صورة العملية السياسية، فكان الغائب هو التنافس السياسي المنظم القائم على المنافسة بين البرامج الانتخابية و خاصة البرامج التي تسعى إلى وجود حلول للمرحلة الجديدة وحل للأزمة الاقتصادية التي عرفتها الجزائر التي هيا في الأصل جوهر المنافسة السياسية في الديمقراطيات الراسخة.

التركيز على هذه المرحلة يعتبر مهم في المسار الديمقراطي، إذ يبرز خلالها نتائج التراكمات السلبية للخطاب الشعبوي خلال ما يزيد عن 25 سنة من التعددية التي وسعت من التباعد بين الطبقة السياسية و العشب فالحراك لم يرفض النخبة الحاكمة فقط بالأمر تعدى إلى درجة طرد قيادات سياسية لأحزاب سياسية كان يرى فيها الشعب الجزائري السبب الرئيسي في الأزمة.

المطلب الثالث: الخطاب الشعبوي تهديد حقيقي للأحزاب السياسية الجز ائرية

ومن خلال تشخيص الشعبوية في العمل الحزبي في الجزائر الذي صار هاجسا يهدد الممارسة السياسية في الجزائر، إن مساعي بناء الدولة " الجزائر الجديدة " يجب أن تستساغ في إطار برامج سياسية مدروسة من طرف نخبة تؤمن بالسلطة الحقيقية للشعب وعدم الإفراط فيها، شكلت التغيرات السياسية الأخيرة التي عرفتها الجزائر بظهور العديد من المطالب التي لم يتسنى للشعب الإفصاح عنها من قبل نخبة حاكمة أدارت ظهرها للشعب واستمرت في خطاب شعبوي مضى عليه الزمن وفقد شرعيته، تشكل المطالب الشعبية اليوم بمثابة المادة الخام التي يجب أن تبني عليها الأحزاب السياسية برامجها الانتخابية حتى تستمر الجزائر في استكمال

تجسيد الديمقراطية التي يحلم بها الشعب، فخطر الشعبوية هنا يكمن في الصياغة الشعبوية لهذه المطالب لتأجيج الجماهير الشعبية لكسب بعض من الشرعية خلال المنافسة الانتخابية وهذا هو مكمن الخطر يجعل الحياة السياسية تحرف عن المسار الذي حدد من أجلها.

فمن بين الأدوار الأساسية للأحزاب السياسية في إعادة صياغة المطالب الشعبية التعبير عنها وإيصالها للنخبة الحاكمة بشكل مفهوم وواضح حتى يتمكن النظام السياسي من الاستجابة، فأسلوب الشعبوي يحيد الأحزاب السياسية عن هذا الدور ويفقدها مكانتها.

بالعودة إلى بداية المسار الانتخابي سنة 1989 و المناسبات الانتخابية اللاحقة نجد أن نسبة المشاركة الانتخابية أخذت منحى متناقص في مقابل نجد أن الأحزاب السياسية أخذت هي الأخرى منحى متزايد بظهور أحزاب جديدة إلا انه لم يكن لها تأثير يذكر على المشاركة السياسية للمواطن الأمر الذي يفسر على أن الأحزاب السياسية كانت خارج المسار السياسي.

فواقع الأحزاب السياسية في الجزائر اليوم يلخص المشهد فمن خلال الوقوف على المحطات الانتخابية التي شهدتها الجزائر على مدار الثلاثين سنة من التعددية، فالمهازل الانتخابية التي شهدتها الحملات الانتخابية كانت كفيلة بان تعكس هذا الواقع الذي لا يمكن إنكاره حتى صار البعض يطلق على الأحزاب بالأبواق النظام من خلال تمجيد الأشخاص والتهجم على آخرين فانتخابات الرئاسية لسنة 2007 والأزمة السياسية التي عرفها حزب جبهة التحرير من بين الأمثلة البارزة التي تلخص مدى تجذر الشعبوية في هذا السياق، بالعودة إلى الحراك الشعبي الذي تميز بغياب التام للأحزاب السياسية التي من الواجب أو تكون في الصفوف الأولى منه سببه الأساسي هو فقدان الثقة في دور الأحزاب السياسية التي تعتبر الخطاب الشعبوي و الأزمات الداخلية لهذه الأحزاب في إقصائها من حدث الذي يجب أن تكون فيه صاحبة المبادرة مثل ما هو متعارف عليه في الديمقراطيات الراسخة.

خاتمة:

استخلاصا مما تم التطرق إليه يمكن القول أن الشعبوية هو في أساسه مفهوم متلون لا يتجمع الدارسون على مفهوم واضح له، إلا أنه يمكن تميز الخطاب الشعبوي على أنه أسلوب العمل السياسي يقوم على فكرة أن الشعب هو أساس السلطة وأن النخب الحاكمة ذات المصالح الضيقة التي تشكل العداء لمصالح الشعب ويعتبر الشعبويون أنفسهم ممثلين للشعب دون سواهم ، فالشعبوية بذلك لا ترتبط بتيار سياسي معين أو حزب معين إنما هي لون يمكن أن يصبغ على أي شخص أو تيار سياسي يتصف بهذه الصفات، فالتسمية القرن الحالي (الواحد والعشرون) بالعصر الشعبوية لم يكن عبثا حيث أن الممارسة طغت على كل الحياة السياسية للديمقراطية فهي في نظر الباحثين تشكل عائق لها على الرغم من أنها ولدت في كنفها على الرغم ممن دافع عنها بأنها الأسلوب الأمثل الذي من خلال يمكن الوصول إلى الشعب وكسب تأييدهم ، فالعمل الحزبي في الجزائر اصبغ بالشعبوية منذ حرب التحرير إلى يومنا غير أنها تختلف في الهدف فإذا كانت الشعبوية في ظل حرب التحرير وسيلة لتوحيد الشعب ووحدة الهدف ووحدة العدو، فإنها اليوم تعتبر ممارسة سلبية فالممارسة الشعبوية لا تزال متجذرة لدى العديد من الأحزاب السياسية لكن بمعنى مغاير أكثر منه سلبية وأصبحت الأسلوب السياسي المحبذ لديها الأمر الذي جعل الأحزاب السياسية تغيب تماما على السياحة السياسية كفاعل مهم من خلال جملة الأدوار التي من الواجب أداؤها، وهو ما يشكل تهديدا لمسار التحول الديمقراطي في الجزائر لما تتصف به هذه الممارسة إلى جانب حداثة النموذج الديمقراطي في الجزائر وعدم ترسخه بعد فترة التسعينيات كانت كفيلة بما أوصلت إليه الشعبوية العمل السياسي حيث لم تكن في تلك المرحلة أسلوب العمل السياسي فقط بل تعدى الأمر إلى تبني إيديولوجيتها مما جعلها سببا من أسباب تعثر التعددية السياسية، كل هذا على الرغم مما قد يراه البعض من ايجابيات في هذا النوع من الخطابات إلا أنه غير كافي لتبرير هذا النوع من الممارسة السياسية التي تخرج عن الدور الأساسي لها. فسير الجزائر نحو تصحيح المسار السياسي عبر مختلف الإصلاحات السياسية ولا سيما التي أقرها رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة الذي ساهم في توسيع الساحة السياسية أكثر إلا أن وظيفة الأحزاب السياسية بقيت ضئيلة وغير فعالة سوى خلال المناسبات الانتخابية التي يغلب عليها الخطاب الشعبوي كما سبق وذكرنا ذلك.

فمن الواجب –**توصيات**- اليوم وفي ظل الانتشار الرهيب للشعبوية في العالم لابد من:

- أخلقة الحياة السياسية من خلال إبراز الأدوار الأساسية للأحزاب التي تتمثل بشكل أساسي في إعادة صياغة المطالب الشعب في إطار برامج سياسية فهي الأساس الذي تبنى عليه البرامج الحزبية حتى تكون محور المنافسة السياسية في العملية الانتخابية لا على اللغة الفذة التي تخل في تبسيط المطالب الشعبية إلى درجة الإخلال بمحتواها.

- ولابد من وضع إطار القانوني لتنظيم الممارسة السياسية من خلال التركيز على البرامج لا على الخطابات إلى جانب تأطير الأفراد في التنظيمات السياسية وعلى رأسها الأحزاب السياسية التي تعتبر مؤسسة من مؤسسات التنشئة السياسية فزيادة الوعي السياسي من بين أنجع السبل لمحاربة هذا النوع من الخطاب السياسي،
- دور الأحزاب السياسية في صناعة النخب السياسية التي تكون قارة على فهم الجماهير من جهة، وقادرة على إقناعها على برنامج الحزب وإيديولوجيته من جهة ثانية.

قائمة المصادروالمراجع

المراجع باللغة العربية

1. عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسية**، الجزء الثالث، دار الهدى المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت
2. خالد طارق عبد الرزاق و ياسين محمد حمد، **الشعبوية دراسة في الإطار النظري**، مجلة دراسات دولية، العدد 78، كلية العلوم السياسية، بغداد، د س ن
3. مرشد القبي، **الشعبوية إنعاش الديمقراطية أم تهديد لها**، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 31، لبنان، 2011
4. عزمي بشارة، **الشعبوية الأزمة الدائمة للديمقراطية**، مجلة سياسيات عربية المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، العدد 40، قطر ، 2019،
5. نوري دريس، **الجيش و السلطة و الدولة في الجزائر من الإيديولوجية الشعبوية إلى الدولة النيوباترومونيالية**، سياسات عربية، العدد 35، نوفمبر 2018
6. بن جدة فريدة، زريق الناقد، **الخطاب الشعبوي و دوره في صناعة السلوك الإنتخابي في الجزائر**، مجلة الناقد للدراسات السياسية، مخبر العلوم السياسية، المجلد 05، العدد 02، جامعة المسيلة، الجزائر، 2021
7. ثامر كامل محمد الخزرجي، **النظم السياسية الحديثة و السياسات العامة "دراسة معاصرة في إستراتيجية إدارة السلطة"** ،دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2004

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Jan-warner muller, **what is populism?,** university of Pennsylvania press, Philadelphia, 2016
2. Benjamin Arditi, **populism, or, politics at the edges of democrady**, contemporary politics, Universidad Nacional autonoma de MEXICO, volume 9, N° 1, 2003, P21

3. Lahouari addi, **de la permanence du populisme Algérien**, revue peupeles méditerrannéens « algérie vers l'Etat islamique ? », N° 52-53, Université déoran, 1990, P37
4. Lahouari addi, populisme **neo-patrimonialisme et démocratie en Algérie**, RGALISSOT René populismes du tiers monde, lharmattan, Paris, 1997
5. Nabila Bouchaala, Aissa Marah, Quand **le médiatique devient populiste risque sur l'apprentissage en Algérie,** recherches froncophones en sciences de léinformation et de la communication, REFSICOM.